

شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم

دكتور

خيرى محمود سعد نصير

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الاسلامية بنين بالشرقية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن علم التوحيد يعنى فى دراسته بالدفاع عن العقيدة الدينية ، وذلك بإيراد الأدلة والحجج لدفع الزيغ والشبه .

من هذا المنطلق كانت هذه الدراسة - المتواضعة حول القرآن العظيم كتاب الدين الخالد والإسلام الخاتم ، ليس المقصود بها الدفاع عن القرآن ، كلا !! وإنما قصد بها بيان أوجه الحق التى يشتمل عليها ، والتى يتغافل عنها المعاندون المغرضون .. فالقرآن لا يحتاج للدفاع عنه ، لأنه مكلوء بكلاء الله سبحانه : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١) وإنما قصد بهذه المحاولة الدفاع عن عقيدتنا نحن المسلمين فى هذا القرآن ، وأننا لا نؤمن بمجرد أن ولدنا لأبوين مسلمين بل لأن الدليل قائم على صدقه وصحة مصدره الإلهى بواسطة الأمين جبريل عن طريق الوحى الإلهى المعصوم .

وقد شاء الله أن يقع تحت يدى بعد أن انتهيت من هذه الدراسة جريدة أسبوعية جاء فيها ما نصه :

كتاب أمريكى .. إسرائيلى ، يحمل اسم " الفرقان الحق " هدفه : التشكيك فى القرآن .. الجزء الأول يحوى سوراً مزيفة وبقية الأجزاء تستهدف تغيير المفاهيم وتهويد المسلمين وتنصيرهم .. مؤلف الكتاب يسمى : (أنيش شورش) عمل قسيساً لمدة ٤٠ سنة ما بين أمريكا وإسرائيل ، هذا الكتاب أرسل لجورج بوش لاعتماده فى الإدارة الأمريكية بتاريخ ٣ فبراير ٢٠٠٤ م ، كما أرسل لكل من أعضاء الكونجرس الأمريكى ومجلس الشيوخ ، كما وزع سراً على السفارات العربية والإسلامية فى أمريكا وباريس ولندن ...

شيخ الأزهر يحرم تداول " الفرقان المزعوم " ويطالب بمعاقبة موزعيه (٢) عندما قرأت هذا الخبر أدركت يقيناً أنه ربما يكون لهذه

---

(١) سورة الحجر : آية رقم : ٩ .

(٢) جريدة الأسبوع : القاهرية عدد ٤٠٢ الإثنين ٢٢ من شوال ١٤٢٥ هـ - ٦ من ديسمبر ٢٠٠٤ م .

الدراسة جدوى حتى وإن كانت على المستوى الفردي ، بيد أن الأمر يتطلب جهوداً ضخمة وعملاً جماعياً ترعاه هيئات رسمية في بلدنا الأمن مصر ... تلك البلد الزاخرة بأفاضل العلماء .

وعود على بدء أقول : إن الحرب ضد الإسلام لم تزل جذوتها مشتعلة باطناً وإن بدت الأمور ظاهراً مستقرة ، فهو الهدوء الذى يسبق العاصفة فبين الفينة والفينة يطلع علينا من يهرف بما لا يعرف ، فيطعن فى أحد المصادر الإسلامية – قرآن أو سنة (١) – بما لا دليل له عليه فأعداء الإسلام يناصبونه العداء منذ بدء الدعوة وحتى الآن .. فلما عجزوا عن منازلته بالمحاربة فى الميدان أو مطاولته بالحجة والبرهان ، عندئذ احتالوا إلى إفساد عقيدة المسلمين ، وتمزيق وحدتهم وتفريق كلمتهم ، وتوهين صلتهم بأصل دينهم عن طريق إثارة الشبهات والأباطيل والمغالطات والأضاليل .

وغاية أعداء الإسلام ووسائلهم المستخدمة لهذا الغرض هى :

أ – الإساءة إلى نبى الإسلام حتى يتعرف عليه الفكر العالمى فى صورة ممقوتة مرذولة تأباها العقول وتمجها القلوب (٢) لعلهم يهدمون الدين الذى جاء به .

ب – محاولة الطعن فى نصوص القرآن الكريم .. وما أكثر تلك المحاولات ، وقد استخدموا فى الوصول لهاتين الغايتين ، وسائل عدة منها :

١ – إما تقديم مبادئ الإسلام مبتورة مشوهة ؛ لينفر منه غير المسلمين .

٢ – أو تعمد الخلط والتزوير فى حقائق ووقائع التاريخ الإسلامى

٣ – أو ادعاء التمسك بنتائج البحث العلمى ، لخداع من يجهل حقيقتهم فى محاولتهم التدليل على غايات قصدوها .

---

(١) إن شاء الله تعالى نحرى إعداد بحث لبيان شبهات المستشرقين حول السنة النبوية المطهرة .
(٢) وقد تم الرد على هذه الفرية فى كتاب بعنوان " الرد الميسور فى الدفاع عن الرسول " .

ومحاولة الطعن فى القرآن يعنى بها فئات عديدة (١) لا تمل هذا التكرار بصور شتى بغية النيل من قدسية القرآن ومكانته وصولاً إلى التشكيك فيه ، ودفعاً إلى الجرأة عليه وجعله محلاً للخطأ ومن ثم قبوله للأخذ والرد والنقد والتجريح .. ولكن هيهات !! وها هو " جلادستون " رئيس وزراء بريطانيا فى عهد الملكة "فكتوريا " يتحدث فى صراحة ووضوح عن العداء المبيت للقرآن فيمسك بديه المصحف .. ويقول لأعضاء مجلس العموم البريطاني : (إنه مادام هذا الكتاب فى أيدى المصريين فلن يقر لنا قرار فى تلك البلاد) (٢) وفى مقوله أخرى يقول : (مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، بل ولا أن تكون هى نفسها فى مأمن)(٣) ، فالمطلوب إذاً هو : توهين الصلة بالقرآن ، ونزع قداسته من نفوس أهله ، وتشويه صورته فى أفكارهم وضمائرهم لينسلخوا منه وينفروا من التمسك بأحكامه وآدابه . لكن لماذا القرآن ؟؟ لأن القرآن العظيم ؛ المعين الذى لا ينضب بالنسبة للمسلم ، فمنه يستمد عقيدته وصموده وصلابته ، يدرك هذه الحقيقة من يقرأ القرآن ويفهمه ، ناهيك عن أن تمس حلاوة القرآن شغاف قلبه عندئذ يعلم من أين يأتى المسلم هذا الدعم الخفى الذى يشحذ عزيمته ويملأ كيانه لا سيما فى أوقات المحن والشدائد . لذا كثرت محاولات الأعداء طعناً فى القرآن وهى محاولة تقوم على المغالطات ولا دليل عليها سوى أوهام دعاتها .

ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة ، والتى تعنى بإظهار عظمة الإسلام ، وسمو قرآنه عن سفاهات الطاعنين من الكفار والمستشرقين وأذيالهم من المأجورين ذوى الأبواق المرددة لترهات أعداء الدين الحق

---

(١) وهل أدل على هذا من الحملة الأمريكية الإسرائلية ، سافرة الوجه فى عدائها للإسلام .. وتخوفها من القرآن بالتشنيع عليه بالأباطيل ؟؟

(٢) شبهات حول الإسلام : للأستاذ / محمد قطب – ص ٧ .بـ.ت . وبدون جهة الطبع

(٣) الغزو الفكرى : أهدافه ووسائله : د / عبد الصبور مرزوق – ص ١٩ . ط ٢ دار الصحافة والنشر – مكة المكرمة ب . ت .

وتثبت أحقية الإسلام الخاتم وإلهيته من خلال مصادره وأفكار علمائه ومعاملات المسلمين وتطبيقهم لمبادئ الإسلام مع غير المسلمين .

فعقائد الإسلام وتشريعاته إذ وجدت من أبناء الإسلام من يفهمها على وجهها الصحيح استطاع أن يفند ما يثار حولها من أباطيل ؛ وهذا ما نرمى إليه وهو أن يتسلح المسلم بما يقتدر معه على مواجهة التيارات والأفكار الوافدة من الكارهين للحق أن يظهر والعدل أن يسود .

فهذا البحث محاولة صادقة تهدف إلى أن تشحذ عزيمة كل مسلم ليستجمع كل قواه العقلية ، فيفيق من غفلته ويهب من رقدته لمواجهة تلك الحملات الموجهة للإسلام ، مع يقينه أن مبادئ دينه تمتلك مؤهلات الدفاع الحق ، القادرة على تفنيد وإبطال أراجيف الناقمين على الإسلام ورسوله . فإذا قرأ المسلم دينه وتبصر قضاياه واستوعبها عادت ثقته في نفسه .. إذا تحقق هذا للعقل المسلم كان خليقاً بأن يستشعر قدرته على نصرة دينه وإبطال ما يحاك حول قرآنه من مكائد ومؤامرات .

منهج البحث :

وقد استخدمت فى معالجة شبهات هذه الدراسة ، المنهج التحليلى النقدى ، بمعنى : أن أعرض الشبهة التى يدعيها المستشرقون من وجهة نظرهم ، ثم أعقب عليها ، ببيان حقيقة هذه الشبهة أو تلك ، ومدى زيف ما جاء فيها ، وذلك بعرض ما هو موجود وثابت في تراث الإسلام ليتبين لذوى العقول .. أن الإسلام .. حق ، وأن القرآن صدق ؛ لأنه إلهى أنزل من عندا لله بواسطة الوحى المعصوم .

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة ، ومدخل ، وسبعة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة .. فقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ، ومنهج البحث المتبع .

وأما المدخل .. فقد أوضحت فيه معانى كلمات عنوان هذه الدراسة وهى كلمات .. شبهات ، ومستشرقين ، والقرآن الكريم .

وأما المبحث الأول .. فعنوانه : تصور عام للشبهات حول القرآن .

وأما المبحث الثانى .. فعنوانه : دعوى اقتباس القرآن عن بعض شعراء العرب .

وأما المبحث الثالث.. فعنوانه : شبهة بشرية القرآن .. معناها، والمراد بها عند المستشرقين ، وأذيالهم .

وأما المبحث الرابع .. فعنوانه : شبهة أن محمداً تعلم القرآن من بحيرى الراهب ، أو .. ورقة بن نوفل ، أو .. غلام رومى ، أو ..سلمان الفارسى ..

وأما المبحث الخامس .. فعنوانه : حالة النصرانية وقت مجئ الإسلام هل كانت تسمح بالأخذ عنها ؟

وأما المبحث السادس .. فعنوانه : أمية محمد (ﷺ) .

وأما المبحث السابع .. فعنوانه : من أدلة إلهية القرآن العظيم

وأما الخاتمة .. فقد ضمنتها نتيجة نشر المستشرقين شبهاتهم حول القرآن ، وكذلك تضمنت بعض معارضات قريش للقرآن لبيان سمو القرآن عن أن يقاربه كلام بشري .. مهما حرص صاحبه على تقليد القرآن ومحاكاته – قديماً وحديثاً – فالقضية محسومة لصالح القرآن ، المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الرسل ، كما تضمنت الخاتمة .. واجبنا نحن المسلمين إزاء القرآن ، في هذا الزمان .. وفي كل الأزمنة .

الباحث

د / خيري نصير

" المدخل "

وهو لبيان معنى كلمات .. شبهة .. الإستشراق ..القرآن ..

أولا : مفهوم كلمة شبهة : هو مالم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً (١) فهى تعنى الشك والظن .. والشبهة : هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر ، لما بينهما من التشابه (٢) وبناء على ما ذكر :

فالشبهة لغة .. تعنى الإلتباس والإختلاط .

وفى الشرع.. ما التبس أمره فلا يعلم أحلال هو أم حرام ، وحق هو أم باطل (٣) .

والمقصود بالشبهة هنا : ١- ما وقع فيه المستشرقون من أخطاء فيما وجهوه للقرآن من طعن ونقد لا يثبت أمام الحقائق الثابتة عن القرآن العظيم الإلهى المصدر ، القطعى الثبوت .

٢ – ما أثاره المستشرقون من أضاليل أرادوا بها إثارة الشكوك والشبهات فى نفوس المسلمين حول القرآن والإسلام .

ثانيا : مفهوم كلمة الإستشراق :

الإستشراق : مشتق من كلمة " شرق " : وبلاد المشرق : البلاد الإسلامية فى شرق الجزيرة العربية .. ومعنى الإستشراق : دراسة الشرق الإسلامى .. فى لغته ، وآدابه وتاريخه ، وعقائده ، وتشريعاته ،وحضارته بوجه عام (٤)

(١) التعريفات : للجرجانى : ص ١٦٥ تحقيق : أ / إبراهيم الإبيارى . ط دار الريان للتراث القاهرة عام ١٤٠٣هـ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن : للأصفهانى ، ج٢ ص ٢٥٤ – كتاب الجمهورية – دار التحرير للطبع والنشر – القاهرة ب . ت .

(٣) انظر المعجم الوسيط : ج١ ص٤٩٠ . ط مجمع اللغة العربية – القاهرة – ب. ت .

(٤) الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى : د / محمود حمدى زقزوق – ص ٢٤ . ط ٢ دار المنار – القاهرة – عام ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

وفى إيجاز .. المستشرقون هم علماء الغرب الذين يعنون بدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية بشتى فروعها . بمعنى : دراسة سائر العلوم المتصلة بالشرق الإسلامى .

وبناء على تفاوت مواقف كثير من المستشرقين من الإسلام ، فإنهم ينقسمون إلى اتجاهات متباينة ، تعبر عن روح أممهم ومواقفهم من الدول العربية والإسلامية ، فمنهم من بحث الجانب العقدى ، ومنهم من بحث الجانب اللغوى ، ومنهم من بحث الجانب العلمى .. على أن هذه الأبحاث لم تسلم من العصبية الدينية والأطماع الإستعمارية فى الغالب الأعم ، وأن بعضها فى القليل النادر أخلص فى دراساته وأبحاثه ، وطلب العلم لذاته .

ولعل هذا المفهوم يكاد يكون من الحقائق المعروفة فى الوسط الإستشراقى ، وهو أن المستشرقين يتباينون فى مواقفهم من الدول العربية والإسلامية بين الحدة والتطرف ، والإعتدال والتعقل [1]

وحول هذه المعانى يقول الأستاذ فراج الفزارى : (إن المستشرقين الفرنسيين كانوا يهتمون بالأفكار والعقائد كما فعل "ماسينيون " مع الحلاج والبسطامى ، والفرق الصوفية .. أما المستشرقون الإنجليز ، فقد كانوا أكثر اهتماماً باللغات واللهجات المحلية ، كما فعل " إدورد هنرى بالمر " وغيره ، وكان وراء ذلك أهداف استعمارية سافرة أحياناً .. بينما تميز الإستشراق الألمانى ، باهتمامه بدراسة اللغة العربية والشعر العربى والنحو والصرف وترجمة معانى القرآن الكريم ، وكان فى المعظم بحثاً علمياً لا يداخله هدف آخر .. وبين هذا وذاك تتوزع جهود بقية المستشرقين فى الأقطار الأخرى) [2]

وهذا إقرار من المستشرق الألمانى " بوبتيسين " بجنوح أقرانه من المستشرقين عن المنهج العلمى فى البحث فيقول : (لابد أن أشير إلى أن

(١) راجع " الرد الميسور فى الدفاع عن الرسول " لصاحب هذه الدراسة - ص٢٤ وما بعدها .

(٢) شبهات حول الإستشراق : للأستاذ / فراج الشيخ الفزارى – ص ١٣ . ط ١ دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – الدوحة – قطر – عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

الإستشراق الألماني لم يكن مرتبطاً بالإستعمار إلى حد كبير .. كالإستشراق الفرنسي ، أو الإنجليزي أو الهولندي .. فالألمان : لم يستعمروا أية دولة عربية ، ولم تكن لهم مطامع في البلدان العربية) (١) .

وعن تحامل فئة من المستشرقين أكثر من غيرها على الإسلام ومبادئه يقول الدكتور محمد البهي : (فالمستشرقون يختلفون فيما بينهم في تصوير آرائهم ، وفي تقرير شروحهم لمبادئ الإسلام ، وأشدهم حدة وعاطفة وهوًى جامحاً ، وحيدة عن أدب الكتّاب ، فضلاً عن البعد عن الأسلوب العلمي في الدراسة والحكمة " مستشرقو فرنسا .. ومستشرقو الكثلكة على العموم في أوربا وأمريكا ..

ولو فتشنا عن السبب ؛ لوجدناه في احتضان فرنسا للكثلكة ، وفي زعامتها للحملات الصليبية الماضية لاسترداد بيت المقدس من البرابرة " المسلمين ")(٢) .

فالمستشرقون الكاثوليك من الفرنسيين والأوربيين والأمريكيين ، يتسمون بالحدة والجموح والكراهية والخروج عن مدار البحث العلمي فيما يتصل بغيرهم من المسلمين .

كانت هذه الإطلالة السريعة عن المستشرقين لسببين :

أولهما : أن المستشرقين : مصدر معلومات العقل الغربي عن الإسلام .

ثانيهما : أن المستشرقين : مصدر إثارة الشبهات حول القرآن العظيم .

فأردت إعطاء خلفية مختصرة عن غايات وأفكار المستشرقين من الإسلام وقرآن الإسلام ، ليكون القارئ على بينة من هذه الجماعة المتمسحة بالعلم ومنهجه (٣) .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٢، ١٣ . وانظر إظهار الإسلام : روجية دوباسكوية – ص١٦

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي : د / محمد البهي – ص ٦٧ . ط١٠ دار المعارف – بمصر عام ١٩٨٩ م .

(٣) لمزيد من الاطلاع : راجع مقدمة كتاب "الرد الميسور في الدفاع عن الرسول"

ثالثا : كلمة القرآن :

معناها : فى اللغة : مصدر نحو كفران ورجحان ، على وزن فعلان ، مشتق من قرأ ، ثم إن لفظ القرآن نقل من المصدرية وأصبح علماً يغلب استعماله على الكتاب المنزل على محمد (ﷺ) .

وسمى الكتاب المنزل على محمد (ﷺ) قرآنا : لكونه جامعاً لثمرة كتب الله المنزلة .. بل لجمعه ثمرة جميع المعلومات ، كما أشار اليه قول الله تعالى : (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ) (١)

وقيل : سمى القرآن " قرءاناً " لأنه يجمع السور التى يشتمل عليها ويضمها ،وقيل : لأنه يقرأ ويتلى بمعنى مقروء ومتلو .

وأما عن التسمية بالمصحف : فقد جاء فى الإتقان (لما جمع أبو بكر القرآن ، قال : سموه ، فقال بعضهم : سموه إنجيلاً ، فكرهوه . وقال بعضهم : سموه سفراً ، فكرهوه من يهود . فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف ، فسموه به) (٢) فكان أبو بكر هو أول من سمى كتاب الله المصحف

والقرآن شرعا : هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد (ﷺ) المكتوب فى المصاحف ، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة (٣)

وقال ابن حزم : (القرآن ، هو المكتوب فى المصاحف ، المشهور فى الآفاق كلها) (٤) وعرفه الغزالى بأنه : (ما نقل إلينا بين دفتى المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً) (٥)

---

(١) سورة يوسف : اية رقم : ١١١ .

(٢) راجع لسان العرب : لابن منظور - ج٥ ص٣٣٦٢ . والمفردات : للأصفهانى - ج٤ -ص٤٠٢ ومناهل العرفان : للشيخ الزرقانى ، والنبأ العظيم : د / دراز - ص ١٢ ومختار الصحاح ص ٢٨٧ . والإتقان فى علوم القرآن : للسيوطى ص ٧١ . الناشر مكتبة مصر - القاهرة ب. ت .

(٣) التعريفات : للجرجانى - ص ٢٢٣ ، وانظر المعجم الوسيط : ج٢ - ص ٧٥ .

(٤) الإحكام فى أصول الأحكام : لابن حزم : ج١ ص ٩٦ . ط١ دار الحديث - القاهرة عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(٥) المستصفى من علم الأصول : للإمام الغزالى : ج١ ص ١٠١ . ط٣ مؤسسة التاريخ العربى - بيروت -عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

والخلاصة : أن القرآن .. هو كلام الله العربى المنزل على محمد (ﷺ) بلفظه ومعناه ، المعجز فيهما ، المتحدى بأقصر سورة منه . المنقول بالتواتر المكتوب فى المصاحف ، المتعبد بتلاوته بإحدى القراءات السبع

جمع القرآن .. أى كتابته وتسجيله :

لقد بلغ القرآن العظيم فى كتابته وتدوينه من نفوس المؤمنين به ، وبعض الباحثين عنه من غير المؤمنين مبلغ اليقين ، لأنه انتقل إلينا بطريق التواتر منذ نزوله وتدوينه ولقد جمع – كتب – القرآن العظيم ، ثلاث مرات .

الأولى : فى حياة النبى (ﷺ) وبأمره .. وقت نزول الوحى الإلهى

الثانية : فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .. بسبب مقتل القراء فى معركة اليمامة .

الثالثة : فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .. بسبب الإختلاف حول اللهجة التى يقرءون بها .

قال الحاكم فى المستدرك : جمع القرآن ثلاث مرات إحداها : بحضرة النبى (ﷺ) ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت، قال : (كنا عند رسول الله (ﷺ) نؤلف القرآن من الرقاع ...) الحديث . قال البيهقى : يشبه أن يكون المراد به تاليف ما نزل من الآيات المتفرقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة النبى (ﷺ) (1)

وكان للنبى (ﷺ) كتاب يكتبون الوحى ، وهم ثلاثة وأربعون ، أشهرهم الخلفاء الأربعة ، وكان ألزمهم للنبى وأكثرهم كتابة له " زيد بن ثابت " وعلى ابن ابى طالب . روى البخارى عن البراء ، قال : لما نزلت (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ) (2) قال النبى (ﷺ) : ادع لى زيداً ، وليجئ باللوح

---

(1) الإتقان فى علوم القرآن : للسيوطى – ص ٧٩ .

(2) سورة النساء : آية رقم : ٩٥ .

والدواة والكتف ، أو الكتف والدواة . ثم قال : اكتب "لا يستوى القاعدون" وفى قصة إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه بعد أن لطم وجه أخته ، وجد عندها صحيفة فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم، سبح لله) إلى قوله تعالى : (إن كنتم مؤمنين) (١) وفى صحيفة أخرى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، طه) إلى قوله تعالى : (له الأسماء الحسنى)(٢) كل هذه الأحاديث والروايات تدل على أنه (ﷺ) اهتم بكتابة القرآن ، وأن القرآن كتب فى عهده وحضرته بكل إتقان وضبط (٣)

وقال محمد بن إسحاق : (وكان القرآن مكتوباً بين يدي رسول الله (ﷺ) فى اللخاف والعسب وأكتاف الإبل) (٤) .

وقال الحارث المحاسبى فى كتاب " فهم السنن " : (كتابة القرآن ليست بمحدثة ، فإنه (ﷺ) كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقاً فى الرقاع والأكتاف والعسب والقرطاس) (٥) .

والشاهد : أن القرآن جمع فى حياة النبى (ﷺ) بأمره وبين يديه، وكانت الصحف تكتب وز نزول الوحى ، وتوضع فى بيت النبى (ﷺ) .

ثانيا : جمعه في خلافة أبي بكر الصديق – رضى اله عنه – :

وجمعه بمعنى كتابه .. تم فى حياة النبى (ﷺ) فما الذي فعله أبو بكر إذن ؟ إذا كان القرآن قد جمع فى حياة النبى ، فإنه كان مفرقاً فى

(١) سورة الحديد : الآيات : ١ – ٨ .
(٢) سورة طه : الآيات : ١ – ٨ .
(٣) تاريخ القرآن : لأبى عبد الله الزنجانى : ص ٢٠ ، ٢١ بتصرف : تحقيق الأستاذ : طه عبد الرءوف سعد ، الناشر:مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع– القاهرة - ب.ت
(٤) الفهرست . لابن النديم – ص ٢٤ .
(٥) تاريخ القرآن : للزنجانى – ص ٢٣ .

الرقاع والأكتاف والعسب والأدم واللخاف (١) . فلما استخلف أبو بكر : (أمر بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله (ﷺ) فيها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط لا يضيع منه شئ) (٢) فمهمة أبى بكر فى كتابة القرآن .. تقتصر فقط على جمعه فى مكان واحد مكتوباً فى السطور ، إلى كونه محفوظاً فى الصدور !!

قال الحافظ بن حجر : (كان – أى القرآن – فى الأديم والعسب أولا ، قبل أن يجمع فى عهد أبى بكر ، ثم جمع فى المصحف فى عهد أبى بكر ، كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة) (٣)

وسبب الجمع فيما أشار به سيدنا عمر بن الخطاب على سيدنا أبى بكر ، هو أن بعض الآيات لم يكن مكتوباً بل كان محفوظاً فى صدور الصحابة (٤) – رضوان الله عليهم – إضافة إلى استشهاد عدد كبير (٥) من الحفاظ فى حروب الردة ، وخاصة موقعة اليمامة وقد حكى الإمام البخارى (٦) هذه القصة عن زيد بن ثابت حيث كلفه أبو بكر بهذه المهمة .

---

(١) أ – الرقاع : جمع .. رقعة ، وهى قطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها .
ب – والأكتاف : جمع .. كتف ، وهو عظم عريض خلف المنكب للحيوان يكتب عليه
ج – والعسب : جمع .. عسيب ، وهو جريد النخل المستقيم يكشط خوصها ، أو التى لم ينبت عليها الخوص
د – والأدم : جمع .. أديم ، وهو جلد الحيوان المدبوغ
هـ – واللخاف : جمع .. لخفة ، وهو حجر أبيض عريض رقيق .
و – القرطاس : الصحيفة من ورق ونحوه يكتب فيها .

(٢) فهم السنن : للحارث المحاسبى : نقلا عن كتاب القرآن : د / صلاح رسلان – ص١٢

(٣) فتح البارى : لابن حجر : ج٨ – ص ٦٣٣ .

(٤) كقوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمة براءة كانت مع أبى خزيمة الأنصارى وحده ، أو كتابتها ثم شاركه فى سماعها زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب – رضى الله عنه وعن جميع الصحابة .

(٥) قيل : سبعمائة ، وقيل : أكثر ، فتح البارى ج٨ ص ٦٢٨ : كتاب فضائل القرآن .

(٦) صحيح البخارى : كتاب فضائل القرآن : ج٨ ص ٦٢٧ حديث ٤٩٨٦ – باب ٣ . ط ١ دار الريان للتراث – القاهرة – عام ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

ثالثا : جمعه فى خلافة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – :

إذا كان زيد بن ثابت كتب القرآن كله موثقاً بالحفظ والكتابة ، والإشهاد على ما اثبت بشاهدين .. فماذا تبقى لعثمان حتى يكتبه مرة ثالثة ؟ باختصار شديد كان سبب الجمع : اختلاف المسلمين فى القراءات، حتى اقتتل الغلمان والمعلمون ، فبلغ ذلك عثمان ، فقال : عندى تكذبون به وتختلفون فيه ، فما نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً ، يا صحابة محمد : اجتمعوا فاكتبوا للناس (١) .. وقيل : السبب هو اختلاف العراقيين مع الشاميين فى فتح أرمينية وأذربيجان عام ٢٥هـ ، وتعصب العراقيين لقراءة " ابن مسعود " والسوريين لقراءة " أبى بن كعب " حتى كادوا يقتتلوا ، فأفزع حذيفة بن اليمان اختلافهم فى القراءة ، فقال لعثمان : (يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة ، أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) (٢)

فالفرق بين جمع أبى بكر .. وجمع عثمان ، أن جمع أبى بكر : كان لخشية أن يضيع شئ من القرآن بموت الحفظة ؛ لأنه لم يكن مجموعاً فى شئ واحد وفى مكان واحد .

(١) الإحكام : لابن حزم : ج٤ – ص ٥٥٩ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب فضائل القرآن : باب ٣ – ج٨ – ص ٦٢٧ حديث ٤٩٨٧

وجمع عثمان : كان جمعاً للناس على قراءة واحدة هي لغة قريش، لانه نزل بها . وان نزوله ابتداء باكثر من لهجة كان للتيسير، ورفع الحرج، فلما استقرت الامور ، لزم الإتفاق على لسان واحد خشية التنازع والإختلاف .

فارسل عثمان مصحفاً إلى : (مكة .. وإلى الشام .. وإلى اليمن .. والى البحرين ..وإلى البصرة .. وإلى الكوفة .. وحبس بالمدينة واحد)(١)

وهكذا نجد للقرآن تفرداً في نقله من يد ليد حتى وصل الينا بطريق التواتر ، الذى يفيد المسلم اليقين الذى لا يتزعزع فى صحة مصدر دينه !!

ولقد شهد غير المسلمين بهذه الخاصية الفريدة للقران – وهى تميزه بطريق التواتر فى نقله منذ نزل به الوحى الامين حتى الان فقال " بوكاى " : (القرآن هو المرجع الذى لا يرقى إليه الظن ، ولا يقبل أن تكون نصوصه موضعاً للجدل ؛ وذلك لانه نقل عن النبى (ﷺ) بصورة جماعية متواترة) (٢) . وقال " و . موير " : (إن المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون اى تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه اى تغيير يذكر .. فلم يوجد إلا قران واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة .. وهذا يعد اكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل) (٣)

ولعل خير ما ننهى به هذه الكلمة المختصرة عن القرآن العظيم، هو أن نقول – مع الشيخ محمد أبو زهرة " رحمة الله عليه" :(وما

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن : للسيوطى – ص ٨٣ .

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم : موريس بوكاى – ص ٢٤٨ – ترجمة الشيخ / حسن خالد ط ٣ – المكتب الإسلامى -بيروت عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م .

(٣) محمد والقرآن : هيلر – ص ٣٢، نقلا عن مدخل إلى القرآن : د/محمد دراز ص٤٠

ـم هذا - أى التواتر ، والحفظ ، والكتابة - لكتاب فى الوجود غير القرآن، ولا يهمنا أن يقر ذلك المعاندون أم لا يقروه ، فذلك إعناتنا .. والحجة القاطعة لا يغيرها ارتياب فى غير موضعه ، بل الحقائق ناصعة ، والبينات قائمة ثابتة .. وهى فى حكم البدهيات القاطعة ، ومن يرتاب فى أمر عقلى لا ريب فيه ، فهو يضل نفسه ، ولا يضر غيره)(١) .

---

(١) المعجزة الكبرى : للشيخ / محمد أبو زهرة - ص ٢٤ . ط١ دار الفكر العربى - القاهرة - عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

" المبحث الأول "

تصور عام للشبهات حول القران

• مغزى الشبهات حول القران .. ما يزعمه المستشرقون أن القران الكريم ليس وحياً إلهياً مقدساً ، بل هو تاليف بشرى يرجع نسبته إلى محمد (ﷺ) .

ومعنى هذا : أن محمداً اتخذ لنفسه منهجاً للإصلاح الدينى اسماه الإسلام ، والاولى به أن يعدل عن هذه التسمية التى تضفى صفة الإلهية – الكاذبة فى زعمهم – على ما يدعيه .

فمحمد بشر والأولى أن يطلق على دعواه (المذهب المحمدى)

والقرآن الذى يؤيد به محمد دعوته للإصلاح " صنعة بشرية " كغيرها من المؤلفات البشرية قابلة للنقد والتبديل ، وهى معرضة للتناقض وعدم الإنسجام ، بل هى كذلك بالفعل .

يقول المستشرق الإنجليزي نيكولسون : (والقارئون للقران من الاوربيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه وهو محمد !! وعدم تماسكه فى معالجة كبار المعضلات ، وهونفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات ، كما لم تكن حجر عثرة فى سبيل صحابته الذين تقبل إيمانهم الساذج القرآن على انه كلام الله !!!) (١)

لذلك فالإسلام : (دين أتى به .. محمد .. الذى كان شديد الذكاء بحيث تعلم العهد القديم والعهد الجديد ، وتحيل منهما ديانة أقامها نقلا عن ظهر قلب ، وقسمها إلى مائة وأربعة عشر فصلاً (يقصد سور القرآن الكريم) مليئة بالروايات والأكاذيب !!) (٢) .

وفى كتاب " محمد والقرآن " لمؤلفه المستشرق الألمانى " رودى بارت " نجد أن محور الكتاب هو الإدعاء بأن الإسلام أخذ الكثير من

---

(١) الصوفية فى الإسلام : نيكولسون ؛ ترجمة نور الدين شريبة – ص ٨٠٧ .

(٢) قاموس العلوم والفنون نقلاً عن الغرب والإسلام :للأستاذ / رجب البنا – ص٢٧٥

اليهودية والمسيحية ، وهو يسمى المدينة المنورة بمدينة اليهود ، وهو ينكر أن يكون القرآن من عند الله ، ويؤكد أن العبادات فى الإسلام بما فيها الصلاة .. مأخوذة من المسيحية واليهودية ، حيث كان النموذج المسيحى واليهودى فى الصلاة المشتمل على الركوع والسجود وقراءة نصوص مقدسة ، معروف لدى العرب ومما جاء فى كتاب " بارت " قوله : (إن محمداً تعرف على النصرانية من " بحيرى " الراهب فى رحلته التجارية إلى الشام ، وقد تمثل " محمد " فى نفسه ما سمعه من بحيرى الراهب وما عرفه من اتباع اليهودية ، وخرج على الناس يعلن دينه الجديد الذى لفقه من الدينين الكبيرين) (١)

وعن اتجاه الإستشراق الألمانى ، يقول الدكتور / محمود زقزوق : إنه سمع محاضرة فى جامعة ميونخ فى أواسط الستينات ألقاها المستشرق المعروف ، الدكتور " كيسلنج " على الطلبة ، أكد فيها : أن الإسلام أخذ من اليهودية والمسيحية .

وتساءل : إذا كان محمد قد أخذ دينه عن اليهودية والمسيحية ، فلماذا لم يأخذ بنظرية التثليث المسيحية التى تعتبر الأساس الراسخ فى العقيدة المسيحية ؟

وهو يرجع عدم قبول " محمد " لعقيدة التثليث إلى – إما أنه لم يستطع فهمها ، وإما أن " بحيرى " الراهب ، الذى كان يشرح المسيحية لمحمد لم يكن هو نفسه يفهمها ؟ (٢)

والآن نعرض لمستشرق آخر هو " جولد تسيهر " (٣) لنحاول معرفة رأيه من خلال مطالعة بعض أفكاره فى هذا الموضوع .

---

(١) محمد والقرآن : للمستشرق الألمانى " رودى بارت " ص ١٣ ، ترجمة إلى العربية د/ مصطفى ماهر – سنة ١٩٦٧ م .

(٢) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى : د / محمود حمدى زقزوق : عن الغرب والإسلام –ص ٢٢٥ :

(٣) جولد تسيهر : مستشرق مجرى يهودى ، يصفه المستشرق اليهودى " جيمس هوورث دن " .. بأنه: (أكبر العلماء اليهود على الإطلاق ، وأن مكتبته التى تضم ٢٨ ألف مجلد هى الآن فى إسرائيل . عن مجلة الجويش أوبزرفر البريطانية عام ١٩٦٨م) نقلا عن مفتريات على الإسلام : للأستاذ / أحمد جمال – ص ١٠٧ هامش

يقول " جولد تسيهر " عن تعاليم الإسلام أنها : (صورة من مذهبى ، الإنتخاب والمزج ، من اليهودية والنصرانية وديانة الفرس ، وغيرها وقد أمكن فى وقت مبكر إثبات أن الأنظار والمسائل العقيدية .. قد برزت تحت تأثير النشاط العقدى فى داخل الكنائس والفرق المسيحية الشرقية .. فى البحث الذى كتبه " كارل بكر " الجدل المسيحى وتكوين العقائق الإسلامية) (١)

أن " جولد تسيهر " يريد أن يقول : إن الإسلام الذى يعبر عنه القرآن ليس وحياً إلهياً ، لأن .. محمداً .. استطاع أن يتخير من اليهودية والنصرانية والفارسية ، عقائد معينة هى التى أعلنها فى القران ، وأن محمداً تأثر بهذه العقائد الملفقة ، التى علم " محمد " بما لديه من ذكاء أنها سوف تمتلك مشاعر قومه ، ثم خدع " محمد " نفسه ، فتوهم أن ما أخذه عن غيره ، وحى إلهى .. وهو يعلم فى قرارة نفسه أنه ليس كذلك !

وفى محاولة لتزييف الحقائق ، يذهب " جولد تسيهر " إلى أن محمداً خرج بدين الإسلام ، بعد تنقيح وتعديل للأديان السابقة عليه كتابية أو وضعية .. إنه يحاول تأكيد وتقعيد ما لفقه لرسول الإسلام محمد (ﷺ) فيقول: (إن محمداً انتخب تعاليم الإسلام من الديانات السائدة فى عصره، اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية ، بعد تهذيب وصقل)(٢)

ثم يذهب " جولد تسيهر " فى التخبط والتخليط إلى منزلق خطير حيث يزعم : أن الصحابة لم يروا حرجاً فى رواية كلام الله على وجه آخر غير الوجه الذى بلغه الرسول فى الأصل ، ومعنى هذا ، أن نص القرآن لم يكتب كما نزل من عند الله بل غير فيه الكتبة وبدلوا !!

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي : جولد تسيهر – ص ١٧١ ، ترجمة د / عبد الحليم النجار ، ط ٢ دار إقرا – بيروت – عام ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام : جولد تسيهر – ص ٢٤ ، وانظر المصدر السابق ص ١٢ .

ويستشهد لهذا بقصة ، عبد الله بن أبى سرح (١) الذى كان يملى عليه عزيز حكيم ، فيقول : هل أكتب عليم حكيم ؟ فيقول النبى : نعم كل صواب (٢)

ويرد الدكتور عبد الحليم النجار ، على ما جاء بشأن عبد الله بن ابى سرح ، وتلاعبه فى كتابة نص القرآن فيقول : (هى رواية عن مرتد لا عبرة بها لظهور ميله إلى الطعن فى الإسلام وقد ارتد عنه ، هذا إذا صحت الرواية بالكلية) (٣) وذكر ابن حجر (٤) أن ابن أبى سرح أول من كتب الوحى بمكة ثم ارتد ثم عاد يوم الفتح . ولنا أن نقول : إن " جولد تسيهر " يناقض نفسه ، ويستشهد بأحد المواقف – من سيدنا على – التى تدل على أن القرآن ، كتب بنصه بغير تبديل يقول " جولد تسيهر" : (ففى وصف نعيم الجنة " الآية ٢٩ من سورة الواقعة " ذكر أن أصحاب اليمين فى : " طلح منضود " وهنا روى عن " على " أنه قال : ما شأن الطلح ؟ إنما هو " وطلع منضود " ثم قرأ : " طلعها هضيم " الآية ١٤٨ من سورة الشعراء . فقال له الحاضرون : هل تريد أن تحولها إلى هذا المعنى ؟ فقال على : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول)(٥)

قال المترجم : (هذا حجة على المؤلف تؤكد أن أحداً من الصحابة أو غيرهم مهما سما قدره لم يكن ليستبيح لنفسه تغيير حرف من القرآن بعد وفاة صاحب الوحى ، وإن لم يكن المعنى مفهوماً عنده)(٦) إن صحة النص القرآنى وعدم تدخل أى من الصحابة فى تغيير حرف منه ، تؤكد أن ما كتب هو عين ما نزل من عند الله ، مما لم يدع مجالا لطاعن من المسلمين أو غيرهم – ممن عرف الحق أو طلبه – .

---

(١) عبد الله بن أبى سرح : اخو عثمان من الرضاعة إسلم قبل فتح مكة ، وكان من كتاب الوحى ، ثم ارتد بعد وفاة الرسول .. ويذكر انه تاب وعاد للإسلام فى فتح مكة .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامى : جولد تسيهر – ص ٥١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥١ هامش المترجم د / عبد الحليم النجار .

(٤) فتح البارى : لابن حجر : ج٨ – ص ٦٣٩ .

(٥) المصدر السابق : ص ٥٢ .

(٦) نفس المصدر : هامش ٥٢ .

فرسول الإسلام محمد (ﷺ) (انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وقد حفظ عدد كبير من الصحابة يبلغ حد التواتر القرآن كله كاملاً غير منقوص لم يتركوا منه كلمة إلا حفظوها ، وعلموا أين نزلت ، ومتى نزلت ، وعلموا معناها من صاحب الرسالة (ﷺ)) (١)

فنص القرآن الكريم فوق الشبهات والشكوك من جهة حفظه وتدوينه ، وإثباته ، ونقله ، فثبوت القرآن قطعى حتماً ، بدليل أنك لو استوهبت نسخة من المصحف من مكتبة فى أفريقية وقابلته بسماعه مشافهة من أحد الحفاظ فى " جاوا " ثم قابلته بأحد المصاحف الاثرية الموجودة فى المكتبات الكبيرة فى العالم ، والتى نسخت فى عهد عثمان ، فإذا وجدت فرقاً ولو فى كلمة واحدة أو حركة ، أن تطلع الدنيا بهذا الإكتشاف التاريخى المدهش (٢)

أرى أن ما هذى به " جولد تسيهر " بشأن التشكيك فى قدسية نص القرآن ، تمحوه وتذيب خبثه الحقائق الواضحة الناطقة لذوى الافهام ، الدالة لذوى العقول على أن القران حق لا تقبل كلمة او حرف منه تخرص حاقد ، أو تمويه مخادع .

إن المستشرقين لا يملون محاولة نسبة القرآن إلى .. مصدر يهودى أو غيره ، المهم هو اتهام " محمد " بالكذب على الله .

وهاهو المستشرق " لوت " يذهب إلى أن النبى (ﷺ) مدين بفكرة فواتح السور ، من مثل : حم ، طسم ، وألم ، إلخ ، بتاثير اجنبى ويرجح أنه يهودى ظناً منه أن السور التى بدأت بهذه الفواتح خضع فيها الرسول (ﷺ) لتاثير اليهود ، ولو دقق فى الأمر لعلم أن سبعاً وعشرين سورة من تلك السور ، التسع والعشرين ، مكية ، وأن اثنتين فقط من هذه السور مدنية ، وهما سورتا البقرة ، وآل عمران (٣)

---

(١) المعجزة الكبرى : للشيخ / محمد ابو زهرة – ص ٢٩ ز

(٢) مبادئ أساسية لفهم القرآن : أبو الأعلى المودودى – ص ٣٠ ، ٣١ بتصرف . ط١ مكتبة دار الأمان – القاهرة – عام ١٤١٦ هـ – ٩٩٦ م

(٣) نظرات استشراقية فى الإسلام : د / محمد غلاب – ص ٤١ ، ٤٢ .

لو أن العهد القديم (التوراة) كان قد اختفى ومحيت آثاره ولم يعد لليهود منه غير الذكرى ، لكان من الممكن أن تأتى أكذوبة " لوت " بفائدة لكن العهد القديم ، مازال موجوداً – على حد زعم اليهود – ويكفى أن ينظر ويتأمل ذو عقل ، ليتعرف عن قرب بعد قراءة وبحث للتوراة ، هل فيما ورد فى أسفار " التوراة " التسع وثلاثين سفراً ، ما يشبه فواتح سور القرآن من حروف المقطع ؟ وإذا لم يكن ، فكيف يتأثر "محمد" بشئ ليس له عند اليهود وجود البتة !!

"المبحث الثانى"

دعوى اقتباس القرآن عن بعض شعراء العرب

لم يترك المستشرقون – المتعصبون وما أكثرهم – نقيصة إلا وتعالت أصواتهم فى محاولة لنسبتها إلى كتاب الإسلام الخالد .القرآن العظيم .

فمن الشبهات حول الإسلام .. زعمهم أن الرسول (ﷺ) أخذ القرآن من شعر أمية بن أبى الصلت ، ومن شعر امرئ القيس ، والدليل على ذلك أن قول القرآن : (اقتربت الساعة وانشق القمر) مأخوذ مما نسبوه إلى امرئ القيس :

دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبى ونفر

أحور قد حرت فى أوصافه ناعس الطرف بعينه حور

بسهام من لحاظ فاتك تركتنى كهشيم المحتظر

وقد رد عليهم العقاد فقال : (وأيسر ما يبدو من جهل هؤلاء الخابطين فى أمر اللغة العربية قبل الإسلام وعلاقتها بلغة القرآن ، أنهم يحسبون أن العلماء المسلمين يجدون فى بحث تلك الأبيات وصباً واصباً لينكروا نسبتها إلى الجاهلية ، ولا يلهمهم الذوق الأدبى أن نظرة واحدة كافية لليقين بإدحاض نسبتها إلى " امرئ القيس " أو غيره من شعراء الجاهلية " (١)

وتعقيباً على هذه الأبيات ، قال الدكتور / الواعى : (ماذا فى الإعتراف بأن تكون بعض التعبيرات العربية التى استخدمها العرب فى الشعر والنثر وردت كلاماً فى القرآن ؟

---

(١) إسلاميات العقاد : ص ٥١ ، ٥٢ .

والقرآن جاء بلسان عربى مبين ، وكان أحياناً ينزل بنص كلمات تحدث بها الصحابة من أمثال عمر رضى الله عنه وأرضاه .. ولم لا يكون الشاعر هو الذى اقتبس من القرآن ؟ لأن الشعر ليس لامرئ القيس.(١)

اعتمد رد الأستاذ / العقاد على خطأ نسبة الشعر لأحد شعراء الجاهلية كـ" امرئ القيس ، وأمية بن أبى الصلت " وهذا هو أصل الشبهة فإذا انتفى مبنى الشبهة ، سقطت وكأنها لم تكن .

على أنه من الرد أيضاً .. لا مانع من استخدام القرآن لبعض الألفاظ التى عرفها العرب شعراً ونثراً ، وهذا هو سر إعجاز القرآن وبلاغته فمع كونه من ألفاظ معروفة لهم ، إلا أنهم يعجزون عن محاكاته أو الإتيان بشئ منه ولو كأقصر سورة وفى هذا قمة التحدى الإلهى بالقرآن ؟

هذا ومما يلقم المتخصرين على القرآن حجراً يسكتهم للأبد أن القرآن العظيم .. أوضح أن الرسول لم يكن يألف الشعر بوجه عام – هكذا طبعه خالقه سبحانه وتعالى – بحيث أن القرآن اعتبر نسبة الشعر للرسول (ﷺ) " لهواً " لا يليق بشخصه ولا يتفق ومهمته السامية ، فمحمد فوق أن يتعاطى الشعر. قال تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ) (٢) وقال سبحانه : (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ) (٣) فالإتصاف بالشعر يزرى بصاحبه ، ومن هذا القبيل ما يحكى عن الإمام الشافعى – رضى الله عنه– قوله :

لولا أن الشعر بالخلائق يزرى لكنت اشعر من لبيد

---

(١) الإسلام فى العقل العلمى : د / توفيق يوسف الراعى – ص ٢٠٢ – ط١ دار الوفاء المنصورة – مصر – عام ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

(٢) سورة يس : آية رقم : ٦٩ .

(٣) سورة الشعراء : آية رقم : ٢٢٤ – ٢٢٦ .

والشعر في الأدب الجاهلي ، قسمان (١) :

أحدهما : يمثله الأعشى .. وهذا النوع يهتم بوصف التقاليد والطقوس الدينية ، وكذا شرب الخمر .. وهذا النوع لا أثر له في القرآن الكريم البتة .

الثاني : كاد يتخصص في الأفكار الدينية . ونموذج هذا النوع .. أمية بن أبي الصلت ، ولماذا لا يكون هذا النوع هو الذي أخذ عنه محمد أفكار دينه ؟

يقول " هوارت ": (وإذا حال التوفيق محاولة إثبات هذه العلاقة سيكون ذلك أهم اكتشاف علمي ، يخفف عنا عبئ التفسيرات الغيبية ولو جزئياً ، وستكون نظرة الكتاب الذين اعتبروا شعر أمية الحلقة بين القرآن والتوراة نظرة صائبة) (٢)

بيد أنه لا يمكن قبول مثل هذا الإدعاء إلا بمراعاة عدة شروط منها

أولاً:صحة نسبة الشعر إلى " أمية بن أبي الصلت"

لكي تكون الشبهة ذا فائدة يجب التأكد من نسبة الشعر إلى قائله ، وقدسبق أن وقفنا على أن الأستاذ / العقاد ، أنكر نسبة شئ من هذا النوع من الشعر إلى شعراء الجاهلية وقد نوه .. د / دراز بهذه النقطة،حيث نص على أن هناك بعض جامعي الشعر ، مثل حماد .. وخلف الأحمر قد اشتبه في أنهم لفقوا بعض الأشعار ونسبوها إلى القدماء بعد أن خلطوها بشعرهم (٣) بيد أنه لو صح – جدلاً – نسبة الشعر إلى قائله ، فلا يكفي لان يكون مصدراً ، للنص المشابه له .

---

(١) انظر مدخل إلى القرآن : د / دراز – ص ١٤٢ بتصرف يسير .

(٢) مصدر جديد للقرآن : هوارت ١٢٣ .

(٣) ومع هذا يرى د / دراز لا ينبغي تعميم هذا الحمل المشبوه على كل الشعر العربي أو الجاهلي بمعنى لا نحكم بعدم نسبة الشعر الجاهلي عامة إلى قائليه ، حتى لا نخرج عن الصواب .

ثانيا : أن يكون الشعر سابقاً فى التاريخ :

بمعنى أن يكون الشعر الذى استمد منه النص قد تحقق تقدمه وسبقه الزمنى على وجود النص الآخذ .. ولكن قضية أسبقية شعر "أمية" بالنسبة لآيات القرآن قضية مستحيلة الحل ؛ لأن محمداً وأمية قد عاصر كل منهما الآخر ، وهما أيضاً من نفس العمر تقريباً ، فضلاً عن أن " أمية " عاش واستمر فى قرض الشعر طوال ما يقرب من ثمانى سنوات بعد نزول آخر آية من سور القرآن المكية ، التى يوجد تشابه بينها وبين شعر " أمية " بحيث يكون من التعسف الإدعاء بأن هذا الشعر كان سابقاً للقرآن من حيث التاريخ .

ثالثا : أن " أمية "(١) لم يدع الأصالة ولا الإلهام :

اى أنه لم يثبت أن " أمية " ادعى أن شعره أصل للقرآن ، كما لم يدع أن شعره كان وحياً حتى يسيغ للقرآن أن يأخذ عنه .

بل أنه كثيراً ما عبر " أمية " عن خيبة أمله وأسفه فى هذا الشأن مما يحملنا على الإعتقاد بأنه قد اندفع – فى شعره – إلى التقليد بروح المنافسة .. وعلى عكس ذلك لقد أعلن محمد على مسمع من جميع معاصريه بأنه .. لم يتلق علمه من بشر !!

---

(١) امية بن ابى الصلت الثقفى : شاعر مشهور ، قال ابو عبيده : اتفقت العرب على ان امية اشعر ثقيف ، وقال الزبير بن بكار : حدثنى عمر قال : كان امية بن ابى الصلت نظر الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً ، وكان يذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، وتجنب الأوثان ، وطمع فى النبوة ، لانه قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث بالحجاز ، فرجا ان يكون هو فلما بعث النبى (ﷺ) حسده – فلم يسلم ، وهو الذى رثى قتلى بدر المشركين ... عن ابن هشام انه كان امن بالنبى (ﷺ) فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فعلم بغزوة بدر وقتل صناديد قريش بها ، فجدع أنف ناقته وشق ثوبه .. وبكى ؛ لان فيهم ابنى خاله ، وعاد إلى الطائف ومات فيها .. والمعروف انه كان حنيفياً على ملة إبراهيم ولم يتنصر ، ولم يلق النبى (ﷺ) قبل النبوة ولا بعدها
ومن شعره :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفية زور

راجع الوحى المحمدى : للشيخ / محمد رشيد رضا – ص ٥١ – الزهراء للإعلام العربى – القاهرة – عام ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

رابعاً : موقف أعداء الدين وخصوم النبى محمد وما أكثرهم :

لو صحت مقولة المعاندين بان شعر " أمية " كان مصدراً لدعوة محمد لتلقف مناصبوا محمد العداء هذه المكيدة ولجدوا فى إكبارها وإعلاء شأنها لوأد ذلك الدين فى مهده لا سيما وقد سلكوا جميع السبل لإيقافه فما بالهم وقد واتتهم الفرصة .. للخلاص من ذلك الدين الذى لم يستطيعوا مجابهته ولم يمتلكوا معه حيلة ، ولم يروا فيه سقطة .

لقد كان أعداء النبى (ﷺ) متيقظين دائماً لأوهى شبهة ليوجهوا من خلالها هجومهم ، ويصوبوا ضربتهم ، ويحولوها إلى سخرية واستهزاء.

ألم يكن من الأيسر لهم أن يضعوا يده على مسروقاته المفضوحة من شعر " أمية " الذى لم يكن قد جف مداده .. بدلاً من أن يوجهوا حججهم فى كل اتجاه وأن يلجئوا إلى كل افتراض ، وصل بهم إلى حد وصم الرسول (ﷺ) بالجنون لتفسير ظاهرة القرآن العجيبة ؟

خامسا : الطعن فى ملكات " أمية " وإمكاناته وقدرته فى قرض الشعر :

وقد أثبت " هوارت " فى نقده لشعر " أمية " ملاحظة جديرة بالاعتبار هى أنه يرجع إلى عدة مصادر مختلفة .

فعندما يتكلم الشاعر عن وصف النار يقلد اسلوب التوراة ، وعندما يشرع فى وصف الجنة يستخدم عبارات القرآن ، وعندما يقص التاريخ الدينى يلجأ أحياناً إلى الأسطورة الشعبية .. أو اساطير الآلهة اليونانية (١) فالشعر فى الإسلام نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام ، ولما لم يكن فى عقل محمد (ﷺ) وفكره ما يخشى عليه ولما لم يكن لتخرص أعداء الإسلام بتأثير شعر " أمية " فى شئ .

---

(١) مدخل إلى القرآن : د / محمد عبد الله دراز – ص ١١٤ ترجمة محمد عبد العظيم على مراجعة د / السيد محمد بدوى – دار القلم – الكويت – عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م

قل أو كثر .. فى القرآن . ولما كانت هذه حقيقة معلومة لدى عموم الصحابة – رضى الله عنهم – وجدنا الإمام مسلم يروى بسنده عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه : قال : ردفت رسول الله (ﷺ) يوماً . فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : هيه(١) فانشدته بيتاً فقال : هيه ثم أنشدته بيتا فقال : هيه حتى أنشدته مائة بيت (٢) وفى رواية أخرى : قال رسول الله (ﷺ) : " أصدق كلمة قالها شاعر ، كلمة لبيد : ألا كل شئ ماخلا الله باطل ".

وكاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم ، (٣) إنه لو كان عند محمد (ﷺ) ريبة فى شئ لما طلب إلى الصحابى أن يسمعه شعر " أمية " ولو كان الرسول (ﷺ) على علم بشعر أمية لأخبره الصحابى بذلك .. فموقفه حين طلب إلى عبد الله بن مسعود ، أن يسمعه القرآن لا يخفى لقد سأله الصحابى متعجباً : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ فقال (ﷺ) : إنى أحب أن أسمعه من غيرى (٤)

ولما لم يكن من الصحابة استفهام وهم الذين كانوا يعلمون خاصة الرسول ، ولا يتحرجون أن يسألوه عن شئ لا سيما فيما يتصل بأصل الإسلام ومصدره ، وكيف لا وقد بذلوا من أجله النفوس والنفائس .. فعلم بهذا أن شعر " أمية " لم يكن يعنى بالنسبة للرسول شيئاً ولو كان عنده أمراً ذا بال . لما خفى هذا عن الصحابة الأجلاء ، وكيف يخفى وهم يلازمونه ويتبادلون ملازمته !!

إن دعوى تأثر القرآن العظيم بشئ من الشعر دعوى باطلة للإعتبارات السابقة ذكرها – وما أكثرها – لمن تجرد عن أهوائه وطلب الحق لذاته .

---

(١) هيه : أصلها إيه : وهى كلمة للإستزادة من الحديث المعهود .

(٢) صحيح الإمام مسلم : ج٨ . ص ٢٢٥٥/١٤ دار الحديث – القاهرة : ط١ عام ١٤١٥هـ = ١٩٩٤ م .

(٣) المصدر السابق : كتاب الشعر : ٣ وانظر موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة : للدكتور / عبد الحليم محمود . ص ١٩ – ٢٠ .

(٤) فتح البارى : ج٨ –ص ٧٧٧ حديث رقم ٥٠٥٦ كتاب فضائل القرآن .

المبحث الثالث

شبهة .. بشرية القرآن .. بيانها ، والرد عليها !

فى مقدمة هذه الدراسة أشرت إلى أن إثارة الشبهات حول القرآن الكريم لإثبات بشريته وإنكار إلهيته ومحو قدسيته كان ولا يزال الشغل الشاغل والعمل الدءوب لصنوف عديدة من أعداء الإسلام وفى مقدمتهم الآن .. المستشرقون ، والمستغربون .

وها هو الدكتور محمد البهى (١) يلفت الأنظار إلى هذه المسألة فيقول: تعرض فكرة (بشرية القرآن) فى إحدى صورتين .

الصورة الأولى : أنه " انطباع " فى نفس محمد (ﷺ) : نشأ عن تأثره ببيئته التى عاش فيها بمكانها ، وزمانها ، ومظاهر حياتها المادية والروحية والإجتماعية .

والصورة الثانية : أنه " تعبير " عن الحياة التى عاش فيها محمد (ﷺ) : بما فيها المكان والزمان ، وجوانب الحياة الإقتصادية ، والسياسية ، والدينية والإجتماعية .

وإحدى الصورتين ملازمة للأخرى .. فإذا كان القرآن " انطباعاً" منبثقاً من البيئة ، فهو " يعبر " عن ذات هذه البيئة ، وبالعكس : إذا كان " تعبيرا " عن البيئة فقد " انطبع " أولا بلا شك فى نفس قائله قبل أن يعبر به وقبل أن يقوله !!

وكلتا الصورتين إذن تفصح عن أن القران عمل خاص بمحمد (ﷺ) عبر به عن المعاني التى كانت فى نفسه من بيئته .

ويعبر عن الصورة الأولى التى نادت بدعوى " بشرية القران " من المستشرقين المستشرق " جب " (٢) وسبب اختيار " جب " أنه يعد مثلا

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث : د / محمد البهى – ص ٢٢٥ بتصرف واختصار – ط١٠ دار المعارف – مصر عام ١٩٨٩ م .

(٢) " هـ . أ . جب " مستشرق إنجليزى معاصر ، أستاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية ، كان عضوا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

للإتزان بين المستشرقين ، إضافة إلى أنه يستخدم في صياغة فكره أسلوبا يبدو فيه تجنب الألفاظ النابية فيما يحكيه عن الرسول ، وتجنب الصراحة المكشوفة فيما يريد أن يودعه في نفس القارئ .

وخطورة هذا الرجل .. في أنه صاحب اتجاه جديد في الإستشراق حيث لا يتخذ الهجوم الشرس المتواصل منهجاً له للوصول إلى أهدافه ، إنما هو المنهج الذي جاء ذكره في كتاب الله : ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١) فهو لا يتظاهر بالحياد فحسب – كما يدعى سائر المستشرقين – إنما هو يزجى من المديح ما يريح أعصاب القارئ المسلم ، فيظن أنه متعاطف معه ، مقدر لبعض جوانب العظمة في دينه ، فيحسن الظن به ، ثم يلقى سلاح الحذر تحت تأثير المديح .. وهنا يدس المستشرق ما يشاء من سموم الأفكار والآراء ، التي يتقبلها المسلم الذي اطمأن إلى المستشرق (٢) .

ويلوح لنا خطورة هذا المستشرق " جب " في كيفية عرض أفكاره بشأن الإسلام ورسول الإسلام وقرآن الإسلام ، والتي خصها بكتاب أسماه : " المذهب المحمدي " !

فمن خلال بعض النقول عن الكتاب المشار إليه يتبين لنا ذكاء الرجل الشديد في وضع المقدمات – التي يريدها – ليصل إلى نتائج قصد هو إليها ، وليست النتائج التي تفتقت عن الحقيقة .. المفترض أن كل باحث يسعى إليها ، وليس " جب " كذلك ! ! ودليل هذا ما صرح به في قوله : (إن محمدا ، ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية عنه المحيطة به من جهة ثم هو من جهة أخرى قد

(١) سورة آل عمران : آية رقم : ٧٢ .

(٢) المستشرقون والإسلام : أ / محمد قطب – ص ١٧٤ بتصرف . ط١ مكتبة وهبة – القاهرة عام ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م وانظر الإستشراق والمستشرقون : د / مصطفى السباعي – ص ٢٧ . ط١ دار السلام القاهرة – عام ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

شق طريقا جديداً بين الأفكار والعقائد السائدة فى زمانه ، والدائرة فى المكان الذى نشأ فيه .

وقليل ماهو معروف – على سبيل التأكيد – عن حياته وظروفه المبكرة .. ولكن الشئ الذى يصح أن يبحث .. ماضيه الإجتماعى .

لقد كان – محمد – أحد سكان مدينة غير رئيسية .. وليس هناك ما يصح أن يصوره بأكثر من أنه " بدوى " شارك فى الفكرة والنظرة فى الحياة التى كانت للبدو الرحل :

أ – و(مكة) فى ذات الوقت لم تكن خلاء ، بعيداً عن صخب العالم ، وعن حركته فى التعامل .. بل كانت مدينة ذات ثروة اقتصادية ، ولها حركة دائبة كمركز للتوزيع التجارى بين المحيط الهندى والبحر الأبيض المتوسط .

ب – و (سكانها) مع احتفاظهم بطابع البساطة العربية الأولية فى سلوكهم ومنشآتهم ، اكتسبوا معارف واسعة بالإنسان والمدن .. عن طريق تبادلهم الإقتصادى والسياسى مع العرب الرحل ، ومع الرسميين من رجال الإمبراطورية الرومانية .

وهذه التجارب قد كونت فى زعماء مكة .. ملكات عقلية .. وضروباً من اليقظة وضبط النفس لم تكن موجودة عند كثير من العرب .

ج – ثم إن (السيادة الروحية) التى اكتسبها المكيون من قديم الزمان على العرب الرحل ، زادت قوة ونمواً بفضل الإشراف على عدد من (المقدسات الدينية) التى وجدت داخل مكة وبالقرب منها .

وانطباع هذا الماضى الممتاز "لمكة " يمكن أن نقف على أثره واضحاً فى كل أدوار .. حياة محمد .. وبتعبير إنسانى : إن محمداً نجح لأنه كان واحداً من المكيين !!) (١) .

---

(١) المذهب المحمدى : للمستشرق الإنجليزى " جب " ص ٧ نقلا عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربى : د / محمد البهى ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

ثم تطوع " جب " غير مشكور فأطلعنا كيف قادت " محمداً " ثورته النفسية الداخلية إلى القيام بحركة إصلاح دينية " ترتكز على ادعائه بأنه رسول من عند الله تقليداً للرسل الساميين ، فيقول "جب " في ذلك :

(ولكن نواة هذه الثورة النفسية لم تظهر فى صورة " إصلاح اجتماعى " بل بدلاً من ذلك دفعته إلى (١) " اتجاه دينى " أعلنه فى اعتقاد ثابت لا يتارجح : بأنه رسول من الله ، لينذر أتباعه بإنذار الرسل الساميين القديم : توبوا ، فجزاء الله حق .. وكل ماجد بعد ذلك كان نتيجة منتظرة للتصادم بين هذا الإعتقاد " بأنه رسول " وبين الكفر به، ومعارضته من فريق بعد فريق) (٢)

وينتقل " جب " إلى خطوة أقوى وثباً ، وهى التى يجرد فيها .. محمداً .. من سمات النبوة الصادقة .. وأن حقيقة ما هو عليه ، لا يتعدى ما حاول " جب " أن يكرره ، وهو تأثر .. محمد .. بالحالة الإجتماعية وما ترتب عليها من نزوع نفسى إلى السيطرة والتسلط نتيجة للإضطهاد فى مكة فظهور أمر .. محمد وإعلان دعوته .. نشأ مصادفة عن القهر الإجتماعى !!

يقول "جب" : (ومحمد .. فى البداية لم يكن نفسه على علم بأنه صاحب دعوة إلى دين جديد !! بل كانت معارضة المكيين له ، وخصومتهم له من مرحلة إلى أخرى ، هى التى قادته اخيراً وهو بالمدينة – بعد أن هاجر إليها – إلى إعلان .. الإسلام كجماعة دينية جديدة ، بإيمانها الخاص ، ومنشآتها الخاصة .

ويبدو أن معارضة المكيين له لم تكن محافظتهم وتمسكهم بالقديم ، أو بسبب عدم رغبتهم فى الإيمان ، بل ترجع أكثر مما ترجع إلى أسباب سياسية ، واقتصادية ، لقد تملكهم الخوف من آثار دعوته التى تؤثر على

(١) تأمل دهاء الرجل وخداعه فى التلاعب بالألفاظ ، الذى يحاول من خلاله تعميد الفكرة المغلوطة !! وهى أن دعوة محمد كانت وليدة للبيئة المكية !!
(٢) المصدر السابق : ص ٢٨.

ازدهارهم الإقتصادى ، وبالأخص تلك الآثار التى يجوز أن تلحق ضرراً بالقيمة الإقتصادية لمقدساتهم .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن المكيين قد تصوروا – أسرع مما تصور .. محمد .. نفسه – أن قبولهم لتعاليمه ربما يمهد لنوع معقد من السلطة السياسية داخل جماعتهم ، التى كانت تحكمها فئة قليلة حتى ذلك الوقت)(١)

وبعد أن وقفنا على مقدمات "جب" آنفة الذكر يأتى إلى " بيت القصيد " وهو ما أجهد نفسه ليصل إليه – فيما يزعم – إنه يبدأ فى التشكيك فى قضايا الإسلام الكبرى ، ألا وهى : مسألة الوحدانية ، وقضايا اليوم الآخر .

إذ نرى " جب " ينسب هذه الأركان الإسلامية ، إلى البيئة تارة ؟ وإلى اليهود والنصارى تارة أخرى ، ومن عجب أنه يستدل لقوله بالقرآن!!

لقد نفث " جب " سمه فى قوله :

(ومعروف من القرآن نفسه ، أن فكرة " الوحدانية " كانت معروفة فى غربى الجزيرة العربية ، لقد كان وجود " الإله الأكبر " – وهو الله – مبدأ مقبولاً كأصل عام لدى محمد ولدى خصومه على السواء!

والقرآن لم يناقش هذه النقطة أبداً ، وحجته التى كان يقيمها فقط على أن : لا إله إلا الله) (٢) وفى قوله :

(وليست هذه الفكرة وحدها ، بل أيضاً ما يختص بالجنة والنار من تفصيلات تساوى تماماً ما فى المسيحية الربانية) (٣)

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٨ .
(٣) نفس المصدر : ص ٢٨ .